

## الفصل السادس

وقد رُزق خالد من زوجه صبيّة سماها سميحة، وأراد الله أن تكون هذه الصبية هي التي تكشف الغطاء عن عقل أبيها وذوقه ونفسه، وتحمل كثيرًا من أهله وذوي مودته أن يعجبوا من هذه الحكمة البالغة، ومن هذه الأسرار الغامضة التي تكتنف الناس في كل ما يأتون وما يدعون، وفي كل ما يضطرون إليه من الأمر، فقد كانت سميحة آية في الجمال، ولا سيما حين تقدمت بها السن شيئًا، وأصبحت صبية تدرج في البيت. لم يحفل خالد بمنظرها أول الأمر، شُغِلَ عن ذلك بشعور الأبوة وحنان الزوج. إلا أنه ذات يوم أخذ ابنته بين ذراعيه فضمّها إليه وقبلّها، ثم نظر في وجهها فأطال النظر، ثم التفت إلى المرأة فنظر إلى وجهه وأطال النظر، ثم التفت إلى امرأته فألقى عليها نظرة خاطفة، ثم وضع الصبية على الأرض، وقال لامرأته في صوت يقطعه ضحك عال مرّ: هذا غريب! من أين لهذه الصبية هذا الجمال؟ ليس وجهي بالرائع، وإن وجهك لبشع، فمن أين لها هذا الجمال؟! وقعت هذه الكلمة من قلب نفيسة موقع الخنجر حين يطعن به عدو عدوًا، فلم تقل شيئًا، وإنما أجهشت بالبكاء ساعة، ثم أوت إلى غرفتها فلزمتها أيّامًا. ولكنها منذ ذلك اليوم أحسّت أنها أصبحت لزوجها عدوًا.

والحق أن زوجها منذ ذلك اليوم قد تحوّل تحوّلًا منكّرًا، فكان يطيل النظر إلى ابنته، ويخطف النظر إلى زوجه، ثم تبلغ القسوة به أبشع أطوارها، فهو يُفصّل ما في ابنته من محاسن، ويوازن بينها وبين ما في امرأته من مقابح: يُوازي بين الأنف والأنف، وبين الفم والفم، وبين الجيد والجيد. يفعل ذلك فيما بينه وبين نفسه، ثم لا يملك أن يجهر به، وإذا هو يتحدث إلى امرأته بما في وجه ابنته من حسن، وبما في وجهها هي من قبح. ولا يزال كذلك حتى يُنغص عليها، وإذا هي تجهش بالبكاء وتسرع إلى غرفتها، وإذا بكأؤها يدفعه إلى الضحك، وإذا فرارها يملأ قلبه اطمئنانًا ورضًا.